

التفسير تاريخه و تطوره

محمد علي مهدوي راد
(باحث)

التفسير على عهد الرسول (ص)

مثلما كانت مسؤولية إبلاغ الرسالة الإلهية وقراءة آيات القرآن على الناس تقع على عاتق الرسول (ص)، كذلك كان عليه أن يبين كلام الله و يفسره و يوضحه. و إلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله:

(وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل / ٤٤)

تأسيساً على هذه الآية كان رسول الله (ص) يتلقى الآيات الإلهية من ناقل الوحي لكي يتلوها على الناس و يبين لهم الحقائق و المعارف الكامنة فيها. و قد أشار المفسرون الى ذلك، قال المبيدي: «أي إننا أرسلنا القرآن لكي تعيد على الناس معانيه و مقاصده.»^١ يعتقد بعض المفسرين أن تبين الرسول (ص) الآيات و توضيحها يقتصران على

الآيات المجملة و المتشابهة.^٢ غير أن العلامة الطباطبائي لم يرتض هذا الرأي و يقول: إن قول بعضهم بأن بيان الرسول و تبيينه ينحصران بالمتشابهات و أسرار الكلام الإلهي و تأويل الآيات، إنما هو قول باطل.^٣

لقد صحب هذه الرسالة و المسؤولية تعليم حقائق الآيات، و بيان عمق معاني القرآن للرسول (ص). يقول بعض التابعين إن الوحي كان ينزل على الرسول (ص) و كان جبرئيل يعرض عليه السنة في تفسيره الآيات و توضيحها و تبيينها.^٤

و هكذا يكون الرسول (ص) مبيناً و مفسراً للقرآن و كاشفاً عن ملامحه و هادياً إلى تعاليمه، ففي آية أخرى تقرأ:

(لَقَدْ مِّنَ اللّٰهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أُنۢبَاةٌ فِیْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ یَتْلُوْا عَلَیْهِمْ آیٰتِهِ وَ یُزَكِّیْهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَ الْحِكْمَةَ وَ اِنْ كٰنُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلٰلٍ مُّبِیْنٍ) (الجمعة / ٢)

لاشك إن المقصود بالكتاب في كلتا الآيتين هو القرآن، و «الحكمة» يفسرها كثيرون بأنها السنّة.^٥ على كل حال، كلتا الآيتين تبيينان موقع الرسول (ص) التعليمي من الكتاب. العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الثانية يقول إن تعليم الكتاب هو بيان الفاظه و ازاحة الستار عن محكماته، في قبال تعليم الحكمة و هي معارف القرآن الحقيقية.^٦

بناء على ذلك يكون رسول الله (ص) أول مفسر و معلم للقرآن، و شارح مبهمات و الكاشف عن مجملاته، و عرض بيانه و سيرته و عمله كلام الله تيّراً لا إيهام فيه أمام أعين الناس.

كان صحابة رسول الله (ص) يعرفون موقعه هذا، فكانوا يسرعون إليه كلما أرادوا فهم خفايا القرآن و حقائقه. يبدو أن بعض الناس يحسبون أنه لما كان القرآن قد نزل بلسان عربي، فإن أسلوبه البياني كان مفهوماً تماماً لدى العرب. ابن خلدون يقول: ينبغي أن نعلم ان القرآن نزل باللسان العربي و بأسلوب بلاغة القوم، و كان جميع الأقسام العربية يفهمونه و يتعلمون معانيه و تركيباته منه.^٧

إلا أن الحقيقة غير ذلك. و لسوف نشرح ذلك فيما يلي، فالو لا لم يكن الصحابة جميعاً

على مستوى واحد في منهم لغة القرآن، و ثانياً كان كثير منهم يحارون في درك معانيه، و في النصوص التاريخية أدلة واضحة على إثبات هذا الإدعاء. وبناء على ذلك يستقيم كلام ابن قتيبة - الاديب البارز من القرن الثالث - اذا يقول:

«لم يكن العرب على مستوى واحد في معرفة الألفاظ الصعبة ومتشابهات القرآن، بل كان بعضهم يفضل بعضاً في ذلك»^٨

و ثالثاً، إن القرآن، بأسلوبه البياني الخاص، يكشف عن أدب خاص به . وإذا فرضنا أن الصحابة كانوا يدركون معاني الألفاظ، فإنهم كانوا يحارون في معرفة مصاديقها، فكانوا بحاجة إلى بيانات رسول الله (ص). فمثلاً، كانوا يعرفون معاني «ليال» و «عشر» في (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ) ولكنهم لم يتوصلوا الى معرفة مصاديق هذه الليالي العشر. كذلك كان الحال مع آيات مثل (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) و (وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا) وغيرهما، إذا إن المعرفة اللغوية و النحوية لم تكن تكفي لفهم المقصود الإلهي منها.

هكذا يتبين أن المسلمين في عهد الرسول (ص) لم يتيسر لهم فهم القرآن فهماً تفصيلياً على وجه العموم، وأنهم في مواضع كثيرة كانوا لا بد لهم من الرجوع الى الرسول (ص). كان الأصحاب يسمعون الأمر الإلهي في القرآن: (أَقِمُوا الصَّلَاةَ...) (الأنعام: ١٥٥ و البقرة: ٤٣) و يسمعون قوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (النساء: ١٠٣) فكانوا يرجعون الى النبي (ص) ليعرفوا منه كيفية أداء هذه الفريضة الإلهية، فكان الرسول (ص) يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^٩. و إذ يسمعون قول الله (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ) (آل عمران: ٩٧) يأتون اليه، فكان يقول لهم: «خذوا عني مناسككم...»^{١٠} فكان يريهم مناسك الحج الابراهيمي و كيفية أدائها، بعيداً عن سنن الجاهلية. كان الصحابة يرجعون أحياناً الى النبي (ص) يسألونه عن مبهمات الآيات الإلهية، و يستمعون إلى بياناته و توضيحاته و يفهمون القرآن و تفسيره، ثم يعملون به. يقول ابو عبد الرحمن، سلمى، ما خلاصته: «اولئك الذين كانوا يعلموننا القرآن كانوا يقولون: كنا نطلب من رسول الله (ص) أن يتلو علينا آيات الله. فاذا استوعبنا عشر آيات



عملنا بها، ثم آيات اخرى ... و هكذا تعلمنا القرآن مع العمل به في وقت واحد»^{١١} و أحياناً كانت هيبه النبي (ص) تمنع أصحابه من طرح أسئلة مباشرة بل كانوا ينتظرون قدوم أحد الأعراب للسؤال من رسول الله (ص) فكانوا هم يعون الجواب. يقول سهل بن حنيف^{١٢}: «كان أصحاب رسول الله (ص) يقولون: إن الله قد أنعم علينا بالأعراب يسألون. و قد حدث مرة أن مثل أحد الأعراب بين يدي الرسول (ص) و سأله: يا رسول الله يذكر في القرآن عن شجرة مؤذية. أنا لم أكن أعرف أن في الجنة أيضاً شجرة تؤذي صاحبها. فقال رسول الله (ص) و ما تلك الشجرة؟ فقال: شجرة السدر^{١٣} ذات الشوك. فقال الرسول (ص): «في سدر مخضود» فالله يحث عنها الشوك و يطلع في مكانه الثمر...»^{١٤}

يقول الامام علي (ع): «وليس كل أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، من كان يسأله و يستفهمه، حتى أنهم كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي و الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، و كان لا يمربي من ذلك شيء إلا سألت منه و حفظته...»^{١٥} يقول ابن مسعود: «أقسم بالله إنني قد استوعبت من رسول الله سبعين سورة و نيف، و أصحاب الرسول كانوا يعلمون أنني أعلمهم بكتاب الله، ولكنني لم أكن أفضلهم.»^{١٦} بالاضافة الى ما كان رسول الله (ص) يبينه و يفسره مباشرة للأمة، كان يحث أصحابه على التعلم و التعليم و يوصيهم باستيعاب كتاب الله و فهمه. يقول أبو أسامة: «جاء رجل الى رسول الله (ص) و قال له: اشتريت متاعاً من فلان، و ربحت فيه كذا و كذا. فقال الرسول (ص): أتريد أن أدلك على ربح أو فى مما ربحت؟ فقال: أ يوجد مثل هذا؟، فقال رسول الله (ص): نعم، احفظ عشر آيات من القرآن. فذهب الرجل و حفظ عشر آيات و عاد إلى رسول الله يعلمه بذلك.»^{١٧} هكذا وضع رسول الله (ص) أسس تفسير القرآن و تبيانه، و علم الناس، من خلال كلماته التعليمية، كيف يفهمون كتاب الله.

كم من القرآن فسره النبي (ص)؟

قلنا إن الرسول (ص) كان يحمل رسالة تبيان كتاب الله و تفسيره، و قلنا إن الصحابة كانوا يرجعون إليه و يسألونه عن آيات كتاب الله نضيف هنا أن القرآن الكريم و محتويات الآيات الإلهية و كانت بالطبع مثاراً للأسئلة، فأشاراتها و تلميحاتها و متشابهاتها و مجملها... كلها كانت تُعد الأراضية للسؤال و الجواب. ليس هناك من شك في أن الرسول (ص) لم يتوان عن تفسير ما كان يراه لازماً لتعريف الأمة به، و لاشك كذلك في أنه كان يفسر الآيات الإلهية إذا ما سأله الناس عنها. ولكن ترى كم من الآيات القرآنية فسرها النبي (ص)؟ إن ذلك موضع نقاش. يعتقد ابن تيمية أن النبي (ص) قد فسر القرآن كله، فهو يقول: لا بد من التذكير بأن آية «لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» دليل على أن الرسول (ص) قد بين للناس و فسر معاني الفاظ القرآن.

يضيف ابن ميمية إلى ذلك توكيده أن الصحابة كانوا يسعون جاهدين في فهم القرآن بالرجوع إلى النبي (ص). ثم يشير إلى الآيات التي تطلب التدبر في القرآن، و يقول إن التدبر لا يكون إلا بفهم المعاني، و إن تعقل مضامينها لا يتأتى إلا تحت ضوء شرحها، لذلك لا يمكن القبول، بعد كل هذه الأوامر الإلهية، بأن الأمين على الرسالة الإلهية، بعد أن يتلو على الناس آيات الله، لا يعنى بشرحها و تفسيرها.

الدكتور محمد حسين الذهبي، بعد أن يشير إلى وجهة نظر ابن تيمية هذه، يفندها قائلاً إن أدلته ذلك ليست قادرة على إثبات مدّعاها، و إن تلك الأدلة لا تزيد عن كونها تثبت أن الرسول (ص) كان يشرح ما يصعب عليهم فهمه و يفسره لهم، و أن الصحابة هم بأنفسهم كانوا يسعون إلى فهم القرآن لأن القرآن كان يطلب فهم التأمل في آياته، و لا شيء أكثر من ذلك.^{١٨}

و في قبال هذه النظرة كان هناك من يعتقد بأن النبي (ص) لم يفسر سوى جزء يسير من آيات القرآن،^{١٩} و الظاهر إن أبا العباس أحمد بن خليل المهلب الخوئي (٣٧٤ هـ)^{٢٠} كان على هذا الرأي، إذا إنه يقول: لا يمكن فهم تفسير القرآن بصورة قاطعة من دون تفسير

الرسول (ص)، و هو قليل بحد ذاته. و الذهبي، الذي ينقل هذه الآراء: يقول إن هؤلاء يبنون آراءهم على:

١. حديث عن عائشة تقول فيه: «إن النبي (ص) لم يفسر سوى القليل من الآيات التي كان جبرئيل يعلمها له.»^{٢١}

٢. لم يكن يتسن للنبي (ص) أن يفسر جميع آيات القرآن، كما أن الله تعالى لم يأمره بذلك، و ذلك لكي تمنع الأمة الاسلامية النظر في آياته و تتأمل فيها و تدبرها بدقة.

٣. لو كان الرسول (ص) قد بين جميع معاني القرآن، لما دعا لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين و علّمه التأويل»، إذا لو أنه كان قد فسر القرآن كله لكان الناس جميعاً سواء في فهم معاني القرآن.

يقول الذهبي، فيما يتعلق بحديث عائشة، إن أحد الرواة هو محمد بن جعفر الزبيري، و هو مطعون في روايته و لا يقبلها أصحاب الحديث، لذلك لا يمكن الاستناد إلى الحديث المذكور. ثم على فرض صحة الجذر، فإن مفسرين من أمثال الطبري، و أبي حيان، و ابن عطية، يرون أنه يخص الغيبيات في القرآن و التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الله تعالى.^{٢٢}

المقولة الثانية ايضا ادعاء لادليل عليه. كيف يمكن أن تثبت أن ما استطاع الرسول (ص) تفسيره من القرآن كان قليلاً جداً و ما كان بالإمكان المزيد عليه. و اخيراً إذا سلّمنا بأن الدليل الثالث يدل على أن النبي الاكرم (ص) لم يفسر كل القرآن، فكيف يكون هذا دليلاً على أن ما فسر منه كان قليلاً جداً؟^{٢٣}

هناك علماء و مفسرون آخرون يحملون هذا الرأي ايضا. العلامة الطباطبائي يقول: إن ما يمكن أن نطلق عليه اسم حديث نبوي، عن طريق أهل السنة، لا يتجاوز المئتين و الخمسين حديثاً، هذا فضلا عن أن بعضها ضعيف و بعضها الآخر منكر.^{٢٤}

أحسب أن العلامة الطباطبائي يستند في كلامه هذا على ما أورده السيوطي في آواخر كتابه القيم «الإتقان»،^{٢٥} ولكن من الواضح أن أحاديث الرسول (ص) في التفسير ليست

محدودة بما ورد هناك. إن تتبع نصوص الروايات و كتب الحديث يدل على ذلك دلالة قاطعة. نضيف هنا أن كلام السيوطي و شمس الدين الخوئي ربما يكون مستنداً الى التفسير المباشر لآية من الآيات، و هذه التفسيرات قليلة، على ما يقال. أما الروايات التي يستفاد منها في تفسير الآيات و تزيل الغموض عن بعض من كلام الله، فهي كثيرة، خاصة إذا أضفنا إليها ما نقله أهل البيت (ع) عن الرسول (ص). كما يجب أن نضيف أن السنة النبوية (من قول أو فعل أو تقرير) يمكن أن يستفاد منها في تفسير القرآن الكريم، فبحسب قول الشافعي: كل ما أمر به النبي (ص) إنما هي أمور مذكورة في القرآن و مبيّنة فيه. كما أن السيوطي يؤكد أن تفصيل الشريعة في السنة إنما هو تفسير لمعاني القرآن و أهدافه و مقاصده.^{٢٦} الظاهر أن كلام هؤلاء العلماء قائم على الكلام النبوي المعجز الذي قال فيه: «ألا إنني أوتيت القرآن و مثله معه. ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، و ما وجدتم فيه من حرام فحرّموه. إلا و إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله»^{٢٧}

هذا الحديث يعلن صراحة أن السنة مثل القرآن و قرينته و مساوية له. و هذا ما يدل على أن سنة الرسول (ص) تكمل القرآن و تبينه و تشرح أهدافه.

وجهة نظر أخرى

يطرح آية الله الشهيد محمد باقر الصدر السؤال عن مقدار ما فسره النبي (ص) من القرآن. و بعد أن يذكر وجهات النظر المذكورة مع موجز لأدلتها، يؤكد قائلاً إنه إذا درس الموضوع على أن فهم القرآن فهماً إجمالياً لم يكن كافياً لبلوغ أهداف هذا الكتاب الإلهي من جهة، و أن إدراكهم للقرآن لم يكن شاملاً ولا واسعاً، من جهة أخرى، و إذا أضفنا إلى ذلك أن القرآن لم يكن، على صعيد حياة المسلمين، مجرد كتاب أدبي يتلونه مترنمين ثم يتركونه، بل هو كتاب هداية يرفع صوته ليخرج الإنسان من الظلمات و ليوصله الى منبع النور، أدركنا أن هدفه هو أن يضع أسس مجتمع مكين، لكي يربي أناساً و اعين مؤمنين. و

بديهي إن القرآن لا يمكن أن يلعب هذا الدور إلا إذا فهمت معانيه على أوسع مدى، و استبانته أهدافه و توضح محتواه. و هكذا يجد المحقق تناقضاً بيناً بين وجهتي النظر هذين، ولكل منها ادلته و شواهد الجديرة بالاهتمام.

وفي معرفي محاولة العثور على حل لهذا التناقض يقترح الشهيد آية الله الصدر طريفاً آخر يستحق الدرس و التمحيص، و ذلك هو أن نقول: إن رسول الله (ص) قد فسر القرآن في مرحلتين و على مستويين:

١. على مستوى العامة و بحسب حاجات المجتمع و متطلباته على وجه العموم، ذلك المجتمع الذي لم يكن يومئذ شاملاً و لا يتصف بالعمق.

٢. التفسير الشامل و الكامل و المكين و العميق الهادف الى تربية أناس كان عليهم أن يحملوا على اكتافهم ميراث القرآن و أن يلتزموا المرجعية الفكرية و الدينية للمجتمع. و هذا ينسجم مع الواقع المنقول عن أيام الصحابة. و بناء على ذلك يمكن القول بأن قلة المنقول عن الصحابة فيما يتعلق بتفسير القرآن ناجمة عن كون المستوى العام لم يكن مُعداً للتفسير الشامل و الواسع. و هكذا فإن مسؤولية إيلاخ الحقيقية و تفسير القرآن تفسيراً دقيقاً لكي تفهم الأمة كتاب الله فهماً عميقاً و الحيلولة دون الانحراف يتجلى في مرحلة خاصة و مستوى معين.^{٢٨}

بيان الشهيد الصدر بيان دقيق و واقعي، فهو يشير الى النصوص التي تضع أهل البيت (ع) في موضع المرجعية للأمة،^{٢٩} كما يشير إلى الأخبار التي تقول إن النبي (ص) قد عرض على علي (ع) تأويل القرآن و تفسيره و محكمه و متشابهه،^{٣٠} و إلى التفاصيل و التفسيرات الدقيقة و الواسعة التي نقلها أهل البيت (ع) عن رسول الله (ص). إنه يؤكد أن هذه كلها تدل على ثنائية تفسير النبي (ص).

ثم هو بعد ذلك يستند إلى رواية مطولة و توضيحية ينقلها الشيخ الكليني (رضوان الله عليه)، كما جاء بعضها في نهج البلاغة. على أساس هذه الرواية، يسأل الرواي

الإمام علياً (ع) عما في أيدي سلمان و أبي ذر و المقداد و غيرهم من تفسير القرآن مما لا يوجد عند الآخرين. فيجيب الإمام (ع) مفصلاً عن ذلك قائلاً إن الصحابة لم يكونوا جميعاً على مستوى واحد من الفكر، كما أن جهودهم في البحث عن الحقائق لم تكن متساوية.^{٣١}

انواع تفسير النبي (ص)

اتضح مما سبق ذكره أن السنة إلى جانب القرآن لها حكم المبيّن و المفسّر و موضع مفاهيم القرآن. ولقد أوردنا أقوال رسول الله (ص) الخالدة في هذا الباب، و الآن إليكم قول الإمام الصادق، جعفر بن محمد (ع):

«إن رسول الله (ص) نزلت عليه الصلاة و لم يسمّ لهم ثلاثاً و لا أربعاً، حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم. و نزلت عليه الزكاة و لم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسر ذلك لهم. و لم يقل لهم: طوفوا سبعاً حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسر ذلك لهم...»

يمكن أن نفهم من هذا الحديث، بكل وضوح، أن الأحكام الإلهية و ردت في القرآن بصورة كلية و بعيدة عن التفصيل و التشريع في الغالب، تاركاً التفصيل و التوضيح للسنة النبوية التي سعى النبي (ص) طوال حياته في بيان ذلك و ازالة الغموض عن ملامح الأحكام الإلهية.

و قد أكد العلماء في مواضع عديدة من كتبهم و آثارهم هذا الأمر، معيدين أقوال السلف في أهمية السنة إزاء القرآن. و فيما يلي نموذج جدير بالاهتمام في هذا الشأن:

كان عمران بن الحصين^{٣٢} يتحدث عن سنة رسول الله (ص)، فقام رجل و قال: «يا أبا نجية، حدثنا عن القرآن.»

فقال عمران: «إنك و أصحابك تقرؤون القرآن، فهل قرأتم فيه شيئاً عن أحكام الصلاة و حدودها، عن زكاة الذهب و الإبل و البقر و سائر الأموال و كيفياتها؟ إنك تراك في

حضرة القرآن، إلا أن كثيراً من الحقائق خافية عليك...» ثم اضاف عمران قائلاً إن رسول الله (ص) قد اوجب زكاة الأموال المذكورة كذا وكذا»^{٣٣}

و جاء في رواية اخرى أن عمران بن الحصين قال: «انت رجل جاهل! هل ترى في القرآن أن عليك أن تصلي الظهر أربع ركعات و بخفوت؟» ثم تحدث عن الصلاة و الزكاة، و سأل: هل تجد تفاصيلها في كتاب الله؟ لقد وردت هذه مبهمه في كتاب الله، إنما سنة رسول الله (ص) هي التي تفسرها و تبين كيفيةها.^{٣٤}

قيل لمطرف بن عبدالله بن الشخير^{٣٥}: «لا تحدثنا إلا عن القرآن.» فقال: «والله لا تقدم شيئاً على القرآن، ولكن الرجوع إلى السنة رجوع إلى من هو أعلم بالقرآن و معانيه.»^{٣٦} الكلام في هذا الباب كثير و بيان تفاصيل ذلك يتطلب فرصة أنسب. فلننظر الآن كيف كان تفسير رسول الله (ص) للآيات و تبيانه لها:

البيان المجمل

سبق القول إن شرح كثير من الأحكام قد ورد بشكل إجمالي في كتاب الله، فيما التزمت سنة رسول الله (ص) شرحها و تبيانها. إن أمثلة ذلك من الكثرة في مختلف أقسام الفقه بحيث لا يحتاج الأمر إلى الإتيان بمثال. لذلك فإن ما سنذكره فيما يلي غيض من فيض مما ورد في التفاسير و الروايات بشأن القرآن:

(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) (النساء: ١٠٣)

هذه الآية دليل بين على أن على المؤمنين أن يؤدوا الصلاة في أوقات معينة. فهل سكت عن تفاصيل هذه الأوقات و متى تكون من الليل و النهار؟ إن الآيات الأخرى الواردة في هذا الأمر لا تشير إلى التفاصيل ابداً. إحدى الآيات تقول:

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ظَهْرًا فِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ. إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ. ذَلِكَ ذِكْرُنَا لِلذَّاكِرِينَ) (هود: ١١٤)

إن مفسري هذه الآية قد تكلموا كثيراً بشأن معاني مفرداتها،^{٣٧} قائلين إن الآية تشير

الى صلوات الصبح و العصر و المغرب و العشاء، ولكن الآية تبقى ساكنة عن تفاصيل الصلاة الأخرى و كفيئتها في تلك الأوقات. لذلك يقول العلامة الطباطبائي، بعد أن يشير إلى معاني المفسرين:

بما ان الكلام يخص الفقه، فلا بد من الرجوع الى بيانات رسول الله (ص) و اهل البيت (ع)، و عند تفسير الآية يمكن اتباع مفاد الروايات.^{٣٨}

و في آية اخرى إشارة إلى وقت الصلاة، ولكن مع الغموض و الإجمال:
(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الفَجْرِ. إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (الاسراء: ٧٨)

هذه أيضا تشير إلى أوقات الصلوات الخمس بصورة مجملة، دون توضيح التفاصيل. لذلك لم يتفق المفسرون على حكاية واحدة في تفسيرها، بل اتخذ كل منهم سبيلا. لذلك يقول العلامة الطباطبائي في ذلك:

«يختلف المفسرون في تفسير بداية الآية. أما ما ورد عن الأئمة (ع) فإن «دلوك الشمس» فسر بدوران الشمس، و «غسق الليل» بمنتصفه. و سوف نرجع الى تلك الروايات ثانية.^{٣٩}

و تقول آية أخرى:

(خَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى...) (البقرة: ٢٣٨)

الآية تشجيع على المحافظة على الصلوات و خاصة الصلاة الوسطى، ولكن ليس واضحا المقصود من الصلاة الوسطى، كما أن المفسرين مختلفون في تفسيرها. لذلك لا بد من الرجوع إلى سنة الرسول (ص) للحصول على المعنى الدقيق لها لإزالة الإبهام عن الآية الإلهية. يقول المفسرون:

الصلاة الوسطى هي الصلاة التي تقع في الوسط، إلا أن المصداق ليس واضحا في الآية، و لا طريق لتفسيرها إلا بالرجوع إلى السنة.^{٤٠}

كذلك هي الحال فيما يتعلق بتشريع الزكاة و الحج و غيرهما، إذ كل ما جاء في القرآن

تشريع كلي، و مجمل، و التفاصيل يجب الرجوع فيها إلى السنة.^{٤١}
 و لا يختلف الأمر في باب المعاملات، فالقرآن يقول:
 (وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: ٢٧٥)

من البديهي أن البيع أنواع، و للربا أحكام واسعة، و هذه التفاصيل كلها يجب البحث عنها في السنة.

تخصيص العام

في القرآن الكريم «احكام عامة» تخصيصها في السنة. و هناك كلام كثير في كيفية عمومية القرآن و تخصيصها في السنة، إلا أن علماء المذاهب الإسلامية ليسوا متفقين في حدود ذلك، ولكن ليس هناك اختلاف في كون «التخصيص» يشير إلى المقصود إشارة جادة، و في كون مفاد «العام» هو المعنى المستند إلى الوضع أو دليل الحكمة. كذلك هي الحال في تخصيص العام في كتاب الله بالسنة المتواترة.^{٤٢}

ففي الآية ٢٢٨ من سورة البقرة نقرأ:

(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)

و هذا حكم شامل لكل امرأة تُطَلَّقُ، و على أساس هذا الحكم العام يجب على كل مطلقة أن تعتد لثلاثة قروء. إلا أن هذا العام قد شرحته السنة النبوية بأنه حكم. يخص النسوة اللاتي دخل بهن أزواجهن.^{٤٣}

و في الآية ١١ من سورة النساء ورد:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

يشير هذا البيان العام إلى توارث المسلمين و يشمل جميع الأولاد إلا أن هناك أخباراً كثيرة تخص هذا العام. من ذلك مثلاً إن قاتل أبيه لا يرثه، و كذلك الإبن الكافر. يقول الفقيه الجليل فاضل جواد الكاظمي: «إن العام في (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) قد تخصص بحالات معينة، فالعبد لا يرث الحر، و لا القاتل و الكافر. كما أن الكافر لا يرث

المسلم، ولكن المسلم يرث الكافر...»^{٤٤}

تحديد الإطلاق

ترد أحكام كثيرة مطلقة في القرآن، فتحددها السنة. ففي الآية ٩٣ من سورة النساء جاء:
(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا أَلِيمًا)
إن إطلاق هذه الآية يتحدد بكون قتل المؤمن يكون من حيث كونه مؤمناً و من دون أن يتوب القاتل عن فعلته، فقد جاء في تفسير العياشي في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق (ع): «من قتل مؤمناً متعمداً على دينه، فذاك التعمد الذي قال الله تعالى في كتابه»

(وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا أَلِيمًا)^{٤٥}

وكذلك الآية ٨٢ من سورة الأنعام التي تقول:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

ظاهر الآية ينبيء بأن المقصود هو مطلق «الظلم»، وهو ما فهمه بعض الصحابة من الآية. يقول الطبري: عند نزول هذه الآية، و عرف الصحابة معناها، صعب عليهم ذلك، فجاؤوا إلى الرسول (ص) و قالوا: من مَنّا يستطيع أن يدعي أنه لم يلبس إيمانه بظلم؟

فأجابهم رسول الله (ص): ليس الأمر كما ظننتم. إن المقصود من «الظلم» في هذه الآية هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان (إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^{٤٦} (لقمان: ١٣)

هكذا يتضح من قول الرسول (ص) أن المقصود ليس مطلق الظلم، إنما المقصود هنا هو الشرك وحده. و عليه فإن إطلاق الآية قد حدده حديث رسول الله (ص)^{٤٧}

في سورة المائدة الآية ٣٨ تقول:

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)

يبدو من ظاهر هذه الآية أن كلتا يدي السارق أو السارقة يجب أن تقطعا، ولكن هذا الإطلاق تحدده أحاديث كثيرة تدل على أن المقصود باليد في الآية هي اليد اليمنى، و من

مفاصل الأصابع فقط. ٤٨

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «لفظة اليد تطلق على مادون المنكب. ولكن في هذا الآية المقصود هو اليد اليمنى بحسب السنة.»^{٤٩}

الآية ١٢ من سورة النساء تقول:

(... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)

يفهم من هذه الآية أن تقسيم الارث يكون بعد إخراج وصية الميت والديون. فكلمة «دين» باقية من على إطلاقها، فقبل التقسيم يجب أولاً تسديد الديون. ولكن «الوصية المالية» يجب أن لاتتعدى ثلث الأموال. هكذا نجد أن الإطلاق في «الوصية» تحدده السنة وتكون ضمن الثلث أو أقل منه.^{٥٠}

توضيح المفاهيم الشرعية

نزل القرآن باللغة العربية في محيط يتكلم الناس فيه باللغة العربية، حيث بلغ الادب العربي القمة في الشعر والنثر والبلاغة، وقد استعمل القرآن كثيراً من الكلمات بأساليب اخرى. وعبارة اخرى، بعض الكلمات العربية المستعملة محملة بمعاني جديدة في القاموس القرآني. ولاشك في أن فهمها فهماً صحيحاً، وخاصة تلك التي تتعلق بالأحكام الشرعية، يقع على عاتق السنة. فكلمات مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وأمثالها لا يمكن معرفة مفاهيمها وأبعادها إلا عن طريق السنة. من الواضح، مثلاً، أن «صلاة» في هذا القاموس لاتعني مطلق الدعاء، بل هي عبادة ذات خصائص معينة، وقد شرعها القرآن وبينت السنة أبعادها. كذلك الحال في «الزكاة» التي لاتعني مجرد الرشد والنمو، بل هو إنفاق خاص قامت السنة بتوضيح تفاصيله. و«الجهاد» كذلك، فالقرآن لا يقصد به مطلق السعي وبذل الجهد، بل يريد به سعيًا خالصاً بنية حسنة ومجادلة طاهرة في سبيل الله، وخصائص اخرى شرحت السنة كثيراً منها.^{٥١} إن أمثال هذه النماذج كثيرة لها مقام آخر للقول.

تفصيل الاحكام

في العديد من مواضع التكليف لم يقم القرآن بتفصيلها و التوسع فيها، مكتفياً بأصل التشريع و القليل من التوضيح الذي كان لازماً يومذاك. فالتفصيل و التبیین و الاستقصاء و الشمول و القيام بتوضيحات اكثر مما جاء في القرآن تقع كلها على عاتق السنة. فمثلاً ذكرت السنة تفصيل رجم الزانية المحصنة،^{٥٢} و كذلك تفاصيل القتل العمد و الخطأ، مما لم يذكر القرآن تفاصيلها من حيث احكامها كالخطأ المحض، و العمد المحض، و شبه العمد، بل وردت في السنة التي تقول: في الحالة الأولى تكون الدية على العاقلة، و في الثانية تكون قصاصاً مالم يرض أولياء الدم بالدية أو بالعفو.^{٥٣} لاشك في أن القرآن في أمثال هذه الحالات لم يكن في مقام التفصيل و الشرح، بل ذكر أصل التشريع فحسب، و ترك الباقي للسنة.

الناسخ و المنسوخ

على الرغم من أن بعض الباحثين القرآنيين ينفون وجود أي نسخ في القرآن و يعتقدون أن أية آية في القرآن لم تنسخ،^{٥٤} ولكن الظاهر أنه لا يمكن الشك في وقوع النسخ في القرآن على وجه العموم. كان القدماء يعتقدون أن النسخ في القرآن كثير و واسع، إلا أن الباحثين المتأخرين^{٥٥} يرون أن الإيات المنسوخة قليلة جداً. على كل حال، بيان الآيات الناسخة و المنسوخة تتعهد به السنة.

جاء في الآية ٢٤٠ من سورة البقرة:

(وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْخَوْلِ غَيْرِ إِحْرَاجٍ)

كانت عدة المرأة في الجاهلية سنة كاملة بعد موت زوجها، و كانت خلال هذه المدة تبقى في بيت زوجها و تستفيد من أمواله. هذه الاستفادة لمدة سنة كانت هي إرثها منه. و بعد انقضاء السنة لم تكن لتنال أي شيء مما بقي من أموال زوجها. هذه الآية تشير الى جانب من هذا الأسلوب و تؤكد. ثم نسخت هذه بالآيتين ٢٣٤ من سورة البقرة و ١١ من

سورة النساء. جاء في الأولى:

(وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)

و جاء في الثانية:

(... وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ)

هاتان الآيتان ناسختان للآية السابقة، وبناء على ذلك فإن حكم الزوجة التي يموت عنها زوجها هو أن تعتد لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام، ثم هي تراث من تركه زوجها. يقول السيد عبدالله شبر في تفسير هذه الآية: «هذه الآية منسوخة باجماع المسلمين»^{٥٩}

هنالك روايات كثيرة تدل على أن الآية ٢٣٤ من سورة البقرة، والآية ١٢ من سورة النساء قد نسختها الآية ٢٤٠ من سورة البقرة.^{٥٧} كذلك هي الحال مع الآيتين ١٥ و ١٦ من سورة النساء اللتين نسختها الآية ٢ من سورة النور. وهاتان الآيتان من سورة النساء هما:

(وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا. وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا)

يقول المفسرون في تفسير هذه الآية إنهما يبينان عقاب الزناة والزواني و من يأتي بفاحشة، وهو أن الزانية المحصنة، بعد ثبوت جريمتها، يجب أن تسجن حتى الموت، وأن الذين يرتكبونها من غير المحصنات يجب تعذيبهم لكي ينتهوا.^{٥٨}

إلا أن هاتين الآيتين قد نسختها الآية ٢ من سورة النور التي تقول: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

وهذا النسخ قد ورد في احاديث كثيرة،^{٥٩} بحيث صرح به كثيرون من المفسرين الفقهاء.^{٦٠} غير أن بعض المفسرين لا يرون أنهما قد نسختا، و حملوا الروايات على نسخ غير المصطلح.^{٦١}

كانت هذه نماذج من الآيات المنسوخة التي قامت السنة ببيان كيفية نسخها. وهناك

امثلة اخرى لا يتسع المجال لذكرها.

تأكيد بيان القرآن

في السنة أحاديث كثيرة تؤيد منطوق الآيات وتعمل على توكيد معاني كلام الله وتثبيت الرسائل القرآنية في قلوب المؤمنين وأرواحهم. إن الأمثلة أكثر من أن تستوعبها هذه السطور القليلة، لذلك نكتفي ببعضها فيما يلي:

يؤكد القرآن المجيد الصلاة وأداءها في مواعيدها الخاصة:

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ)

(المعارج / ٣٤-٣٥)

يقول المفسرون في معنى الآية: «إنها تشير الى الذين يحافظون على مواعيد الصلاة و

يحولون دون ضياع بعضها.»^{٦٢}

يقول ابن مسعود: سألت رسول الله (ص) عن أفضل الاعمال، فقال: «الصلاة على

وقتها»^{٦٣}

عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: «هذه الفريضة، من صلاها لوقتها، عارفاً بحقتها،

لا يؤثر عليها غيرها، كتب الله له براءة لا يعذبه. و من صلاها لغير وقتها، مؤثراً عليها

غيرها، فإن ذلك إليه، إن شاء غفرله، وإن شاء عذبه.»^{٦٤}

يؤكد القرآن ضرورة سلامة المعاملات المالية والاقتصادية، وينهى عن التصرف بظلم

في أموال الآخرين، وعن وضع اليد بالباطل على ما للآخرين، فيقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بِالْبَاطِلِ) (النساء: ٢٩)

فأكد رسول الله (ص) هذا الأمر بقوله: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس

منه.»^{٦٥}

إن من أهم النقاط التعليمية في القرآن هي حثه على حفظ الأمانة وتأديتها والحذر من

خيانتها، إذ يقول:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨)

و نقرأ فيه أيضاً:

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) (البقرة: ٢٨٣)

وقد ورد الكثير في السنة النبوية في تأكيد هذه الحقيقة، كما بدا في أقوال المعصومين وأفعالهم تأييدهم لهذا التعليم القرآني العظيم، وفي السيرة النبوية والأئمة (ع) و تنبيههم و نصائحهم الهادية. قال الرسول الكريم (ص):

«رد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»^{٦٦}

وقد صاغ الفقهاء من قول آخر لرسول الله (ص) قاعدة فقهية مهمة^{٦٧} باسم «قاعدة

اليد» في الفقه الاسلامي و استخدموها. قال رسول الله (ص):

«على اليد ما أخذت حتى تؤديه»^{٦٨}

وقال سيد الساجدين، علي بن الحسين (ع):

«عليكم بأداء الأمانة. فلو ان قاتل الحسين بن علي (ع) ائتمني على السيف الذي قتلته

به لأدبته إليه»^{٦٩}

هذا قليل من كثير مما في كتب الحديث و التفسير. و لأنهاء هذا البحث لابد من ذكر

اقوال رجال مثل الشافعي الذي قال:

إن ما كان يأمر به النبي (ص) كان تبييناً و تفسيراً بشكل ما للآيات القرآنية.^{٧٠}

أمثلة من تفسير رسول الله (ص)

و الآن يجدر بنا أن نشير إلى أمثلة من تفسير رسول الله (ص).

طائفة كبيرة من الميراث التفسيري لرسول الله (ص) نحن مدنيون بها إلى الأسئلة و الأبحاث التي كان يطرحها أصحابه عليه. و الظاهر أنهم كانوا يعرفون معاني الكلمات الواردة في القرآن، ولكن كثيراً ما كان يُغلق عليهم فهم المراد الإلهي من تلك الآيات و بعض المفردات المستعملة فيها، فكانوا يسألون النبي (ص) عنها. من ذلك مثلاً أنهم عندما

سمعوا قول الله تعالى:

(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) (التوبة: ١١٢) عرفوا معنى «السَّائِحُونَ» ولكنهم لم يفهموا المراد منه في الآية، فسألوا رسول الله (ص) عن ذلك، فقال: «هم الصائمون»^{٧١}

من الواضح إن معنى «السائح» لم يكن من الصعوبة بمكان بحيث أنهم لا يفهمونه، ولكن وروده الى جانب ما أحاط به من كلام جعلهم يتساءلون: ترى أي نوع من «السياحة» هذه؟

يقول بعض المفسرين:

«السائح من ساح في الارض اذا استمرار في الذهاب... و من ذلك يسمى الصائم سائحاً لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى. لذلك قال رسول الله (ص): سياحة أمتي الصيام»^{٧٢}

كذلك فيما يتعلق بمعنى «القوة» في الآية ٦٠ من سورة الانفال:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...)

يقول احد الصحابييين إنه سمع رسول الله (ص) يتلو هذه الآية من فوق المنبر و يقول:

«ألا إن القوة الرمي» وكرره ثلاثاً.^{٧٣}

كان النبي (ص) يقوم أحياناً بشرح كيفية تحقق مفهوم إحدى الآيات في حياة المؤمنين و ينبه عليه. يقول ابن عباس: قال النبي في تفسير (فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة: ١٥٢): «اذكروني يا معشر العباد بطاعتي اذ كركم بمغفرتي»^{٧٤}.

سئل رسول الله (ص) عن المقصود من «الاستطاعة» في الآية ٩٧ من سورة آل عمران: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فقال: «الزاد والراحلة»^{٧٥}.

هكذا أعطى لمفهوم «الاستطاعة» العام، الذي يشمل كل أنواع القوة: معنى محدداً جعله يشمل في الحج الزاد والراحلة. و على هذا التفسير أقام الفقهاء تفسيرهم للاستطاعة في كتبهم عن الحج.^{٧٦}

سأل رجل من هذيل عن الآية (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٦) قائلاً: يا رسول الله، هل الذي يترك الحج يصبح كافراً؟

فقال رسول الله (ص): «من تركه لا يخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه».^{٧٧}

هذا الجزء من الآية جاء ضمن آية تقول:

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)

لقد فهم الهذيلي من الآية أن ترك الحج مطلقاً يساوي الكفر، فأوضح له النبي (ص) أنه إذا كان الترك ناجماً عن إنكاره فإنه والكفر سواء. إن من لا يخشى عقاب الله ولا أمل له في ثوابه، ليس إلا الكافر بيوم القيامة، وبالعقاب والثواب. أما إذا كان تركه من باب الخسة واللابالية، لا الإنكار، وإنما هو فاسق عاص، لا كافر. وهذا هو تفسير الإمام موسى بن جعفر (ع) في جواب سؤال علي بن جعفر الذي سأله عما إذا كان الشيعي الذي لا يحج كافراً، فقال: «لا، ولكن الذي ينكر ذلك يكون كافراً».^{٧٨} أي أن يتخذ موقف الجاحد والمنكر نحو الحج وأحكامه.

يقول ابن عباس إن رجلاً سأل رسول الله (ص) عن معنى «عضين» في الآية «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ»^{٧٩} (الحجر / ٩٠)، فقال رسول الله (ص): «الذين آمنوا ببعض و كفروا ببعض».^{٨٠}

يأمر الله الرسول ألا يتطلع الى ما يتمتع به الكفار، وأن يتواضع للمؤمنين، وان يكون شديداً و غليظاً مع الكافرين، وان يقول لهم (أنا النذير المبين). كما أنزلنا على الْمُقْسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ).

و عضين جمع عضة التي تعني التقسيم والتمزيق والتبضيع. إنها آية تشير التساؤلات، فالسائل يسأل: ما هذا التمزيق والتبضيع الذي يطعن فيه القرآن ويستنكره. فيقول النبي (ص): هو الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه. هو القبول ببعض الآيات والتهرب من قبول بعضها الآخر.

وفي الآية ١٤١ من سورة الانعام نقرأ:

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)

فيسأل صحابي رسول الله (ص) عن شرح الصدر وما هو الصدر. فيقول رسول الله (ص): «إنه نور يقذف به فينشرح و ينفسح.» فعاد الصحابي يسأل: وهل لشرح الصدر هذا وإلقاء النور فيه من علامة يعرف بها؟ فقال (ص):

«الإجابة الى دار الخلود، و التجافي عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل لقاء

الموت.»^{٨١}

عبادة بن الصامت، و هو صحابي من الأنصار،^{٨٢} يسأل رسول الله (ص) عن «البشارة» في الآية ٦٤ من سورة يونس:

(لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ) فقال رسول الله (ص): «هي الرؤيا

الصالحة يراها الرجل أو ترى له»^{٨٣}

و يقرأ الصحابة هذه الآية

(الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا)^{٨٤}

(الفرقان / ٣٤)، فيحارون في معنى أنهم يحشرون على وجوههم. فسألوا النبي (ص) عن ذلك فقال:

«إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم.»^{٨٥}

وفي آية أخرى يبين الله تعالى معنى الحشر على الوجوه:

(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)^{٨٦} (القمر / ٤٨)

و جاء في آية أخرى:

(وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَ بُكْمًا وَ صُمًّا) (الإسراء / ٩٧)

فالملائكة يجزؤونهم على وجوههم فوق الأرض في حال من العمى و البكم و الصمم كان بعضهم لا يفهمون المعنى الدقيق لبعض الألفاظ في الآيات الإلهية، و لا يدركون

مصاديقها، فكانوا يسألون عنها. أم هاني،^{٨٧} بنت أبي طالب، تسأل رسول الله (ص)

عن المنكر الذي كان قوم لوط يرتكبونه في مجتمعاتهم، كما جاء في الآية (... وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) (العنكبوت / ٢٩)

فقال رسول الله (ص): «كانوا يخدفون أهل الطريق و يسخرون، فهو المنكر الذي يأتيون به.»^{٨٨}

واحياناً كانت عمومية الأحكام و شموليتها على شيء من الغموض، فكانوا يسألون عنها. جرير بن عبد الله البجلي^{٨٩} يقرأ هذه الآية: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبُسَارِهِمْ) (النور / ٣٠) فيسأل رسول الله (ص) عن حكم النظرة الفجائية، فيقول النبي (ص): «استرجع نظرتك و لاتدمها» أي إن الآية لاتشمل كل نظرة، فالنظرة المفاجئة لايشملها الحكم العام، وإنما يجب عدم إدامتها.^{٩٠}

و كانوا أحياناً يسمعون الآية فترعبهم شدتها و لهجتها، فيرجعون إلى النبي (ص) ليستفهموا عنها. يقول الإمام الباقر (ع) عندما نزلت الآية ١٢٣ من سورة النساء (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ) أصاب بعض الصحابة الرعب من ظاهر الآية، فقال لهم النبي (ص) «ألا تصيبكم في الحياة المصائب في أموالكم و ارواحكم و اولادكم؟» قالوا: بلى. فقال: «إن الله يكتب لكم بهذه حسنات و يحوبها سيئات عنكم.»^{٩١}

كانوا قد ظنوا، حسب ظاهر الآية، أن جميع السيئات تنال عقابها من دون تخفيف، واحدة فواحدة و مهما كانت، فارعبهم الأمر و أرادوا أن يعلموا إن كان ثمة تخفيف و عفو فيما قد يرتكبونه من السيئات.

و في مناسبات أخرى كانت آية ما تتحدث عن أشخاص حديثا غامضا، فكانوا يسألون عنها. يقول المفسرون إنه عندما نزلت الآية ٢٨ من سورة محمد: (... وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) سأل الصحابة رسول الله (ص): يا رسول الله من هؤلاء الذين يأخذون مكاننا إذا نحن تولينا؟ فقال رسول الله (ص). وكان الى جانبه سلمان (الفارسي): «هم الفرس، هذا و قومه»^{٩٢}

لقد سبق قولنا - و قد نكره - إنه على الرغم من أن القرآن نزل بالعربية لأناس

يتكلمون العربية، فان ذلك لا يعني انهم جميعاً كانوا يفهمون معاني كل كلماته، لذلك فقد كان هناك من لا يعرف المعنى الدقيق لها، فكان يسأل عنها، ومن ذلك سؤال قطبة بن مالك عن «البسوق» في الآية (وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) (ق / ١٠) قائلا: «ما بسوق النخل؟» فقال الرسول (ص): «هو ارتفاعها وامتدادها و طولها.»^{٩٣} وفي ذلك يقول علماء اللغة:

بسقت النخلة، بسوقاً، طالت و كملت. و قوله تعالى (وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ) اي: طويلات.»^{٩٤}

روي عن الإمام الصادق (ع) في تفسير الآية (وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الاسرار / ٢٩) أنه قال: «الإحسار الإقتار.»^{٩٥}

و حصره بمعنى كشفه و ازال غطاءه، و الحاسر من لا مغفر له و لادرع، أو لا جنة له. الناقة الحسير هي التي هزلت و ضعفت. المحسور الذي خسر كل شيء و لم يبق له شيء.»^{٩٦}

و الإقتار التضييق في النفقة، و الأقر من قلّ ماله أو قلّ عطاؤه.^{٩٧} و على هذا يكون المعنى الدقيق للمحسور هو ضيق ذات اليد و امكانيات العيش. كما أن في الكلمة معنى الندم و الأسف و الكآبة.^{٩٨}

كان النبي (ص) يبادر احياناً الى تفسير آية من الآيات فيملاً بذلك قلوب المشتاقين من المعارف الإسلامية، و يبين للناس نهاية الحياة، و يحملهم على الايمان بالمعاد، و عدم التعلق بالدنيا و بهارجها و مغرباتها. يقول ابوسعيد الخدري^{٩٩}: قال رسول الله (ص) في تفسير آية:

(تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) (المؤمنون / ١٠٤):

«تشويها النار فتتقلص شفاهها العليا حتى تبلغ وسط الرؤوس، و تسترخي شفاهها

السفلى حتى تبلغ الأسرة.»^{١٠٠}

روي أن النبي (ص) قرأ سورة الزلزلة، وعندما وصل الى الآية (يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال: «أتعلمون ما أخبارها؟» فقالوا: «الله و رسوله أعلم» فقال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد و أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا و كذا في يوم كذا و كذا، فذلك إخبارها.»^{١٠١}

كان النبي (ص) يقوم أحياناً بعرض الملامح الكريهة لذوي الاخلاق القبيحة و الظالمين، في معرض تفسيره لآية من الآيات لكي لا يحار الناس في مستقبل أيامهم في تعرف الحقيقة و أصحابها. ففي يوم من تلك الأيام جاء النبي (ص) الى أصحابه و الغم يعلو قسما و وجهه الكريم، فسأله أصحابه عن علة اكتنابه، فقال: «رأيت فيما يرى النائم أن بني أمية ينزّون على منبري نَزًّا كالثقود.»^{١٠٢} ثم تلا عليهم الآية:

(وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)

(الاسراء / ٦٠)

إنه، بيانه للرؤيا و بتلاوة الآية التي نزلت عليه للتخفيف عليه، لم يبق شكاً في أن النازين نَزًّا القروذ على منبره هم بنو أمية و ان «الشجرة الملعونة» لا مصداق لها سواهم. ولكن يبدو ان بعض المفسرين سعا الى إضعاف هذه الروايات،^{١٠٣} و حاول آخرون العثور على مصداق آخر للشجرة الملعونة.^{١٠٤} إلا ان تواتر الروايات و كثرتها حالاً دون قبول كثير من المفسرين بتلك المساعي، بل اقرروا ما تواترت فيه الروايات،^{١٠٥} و الآخرون الذين قبلوا بتلك النقول إنما هم قبلوا باستثناء عجيب.^{١٠٦} لقد استطاع العلامة الطباطبائي، بطريقته القويمة في تفسير القرآن بالقرآن و بتأمله في سياق الآيات و أساليبها، أن يبين أن مصداق هذه الفتنة و الشجرة الملعونة هو بنو أمية،^{١٠٧} و قد جاء أن عائشة قالت لمروان بن الحكم: «سمعت من رسول الله أن الشجرة الملعونة في القرآن هي أبوك وجدك.»^{١٠٨} و ابن أبي الحديد يؤكد نسبة هذا التفسير إلى جميع المفسرين، كما أننا نقرأ للطبري في رواية قديمة أن ليس هناك أي شك في أن المقصود في هذه هم بنو أمية. و بعد كل هذا ترى ما الدافع لبعض المفسرين في تحريف معنى الآية و تحويله الى قصد آخر؟

هل كان لبني أمية ذلك المقام الذي يحمل المفسر على تحريف معنى الآية ارضاءً لهم بحيث يحمل السيد عزة دروزة على القول: «تقول الشيعة ان المقصود هم بنو امية، و هذا واحد من تأويلاتهم الغريبة العجيبة.»^{١٠٩}

دعنا من هذا... كنا نقول إن النبي (ص) كان يقوم احياناً بتفسير الآيات القرآنية، و بالتحدث عن الحوادث الآتية، كاشفاً عن ملامح الذين سيكون لهم دور مهم بعد النبي (ص). إن من المصاديق المهمة لهذه الحقيقية هو تفسيره لآية «الإكمال» في «حجة البلاغ»^{١١٠} يقول المحدثون و المفسرون إنه عندما رفع النبي (ص) يد علي في اجتماع الغدير و أعلن أنه هو خليفته من بعده، لم يكن الناس قد تفرقوا بعد عندما نزلت آية «الإكمال» فتلاها الرسول (ص) على الناس:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً»

و بعد تلاوة هذه الآية، أمام أنظار الناس المكتظين و أسماعهم تحت شمس الظهيرة الحارقة، قال (ص):

«الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرب برسالتي و بالولاية لعلي من

بعدي.»^{١١١}

و هكذا نجدان الرسول (ص) يبادر، بعده تلاوة الآية فوراً بتفسير أن ولاية علي (ع) بعده إنما هي مصداق لإكمال الدين و إتمام النعمة، و يعلن عن رضى الله عن الدين الذي أبلغه رسول الله (ص) و الذي سوف يستمر تحت ولاية علي (ع) و قيادته، و ذلك لكي يحول دون تلك الخطط المختلفة الساعية إلى ايجاد مصاديق اخرى منحرفة لتلك الآية الإلهية.^{١١٢} إلا أن أيدي مصطنعي التفسير و التحريف راحت تبحث عن أخرى لتحريف الآية تحريفاً معنوياً. غير أن نور الحق قد سطع من بين أكداس الأسانيد المتراكمة على المحرفين و فضحهم.^{١١٣} «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة / ٣٢)

والمثال المثير المهم الآخر هو تفسير النبي (ص) و توكيده الآية ٣٣ من سورة

الأحزاب، آية التطهير:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)

في الآيات السابقة كان الكلام على نساء النبي (ص) والأوامر الإلهية في كيفية سلوكهن. أما في هذه الآية فالقول موجهه، بشكل لافت الى أهل البيت و تطهيرهم عن كل ما لا ينبغي لهم و ظهور مصداق ذلك في اصحاب الكساء: النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (ع)، و لا يجوز الشك في ذلك لكثرة الأسانيد و الروايات، بحيث إن بعض المحدثين قالوا بتواترها،^{١١٤} و قال آخرون بكثرتها،^{١١٥} و غيرهم قالوا انها لا تحصى.^{١١٦} كان النبي (ص) يسعى بشكل عجيب في لقاء الضوء على هذا المصداق. يقول المحدثون و المفسرون و المؤرخون إن رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية، بقي ستة شهور يقف في كل موعد صلاة على باب فاطمة الزهراء (ص) و ينادي بأعلا صوته: «الصلاة أهل البيت: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً»^{١١٧}

هكذا قام رسول الله (ص) بقوله و عمله بتوكيد تفسيره للآية بالتركيز على مصداقها. غير أن المفسرين الموالين للأمويين كانوا يحاولون إخفاء هذه الحقيقة، بحيث إن عكرمة كان يمشي في الأسواق و ينادي بأن المقصود من «أهل البيت» هم زوجات النبي فحسب، و كان يدعو الناس الى المباهلة في هذا الصدد.^{١١٨} و قام آخرون بعزف نغمات أخرى لعلهم يخفون نور الحق، إلا أن الكثيرين من المحدثين و المفسرين و الفقهاء و المؤرخين صرحوا بالحقيقية و أصرروا عليها.^{١١٩}

هذا الذي أدرجناه إنما هو غيض من فيض التنزه في حدائق تفسير رسول الله (ص) للقرآن و نداءاته و تنبيهاته و كلماته في حق علي و آل علي (ع)، و هو من الثمار أفضلها و من باقات ورد تلك الحدائق النضرة أعطرها: و ختامه مسك ■

الهوامش

١. «كشف الأسرار» ج ٥ ص ٣٨٩
٢. «روح المعاني» ج ١٤ ص ١٥٠، «التفسير الكبير» ج ٢٠ ص ٣٨
٣. «الميزان» ج ١٢، ص ٢٦١
٤. «جامع بيان العلم وفضله» ص ٤٩٦
٥. «التبيان في تفسير القرآن» ج ٣ ص ٣٩، «محاسن التأويل، ج ٤ ص ٢٨٤، «الكشاف» ج ٤ ص ٥٣٠
٦. «الميزان» ج ١٩ ص ٢٦٥
٧. «المقدمة» لابن خلدون، ج ٣ ص ١٠٣٠ طبع علي عبدالواحد وافي، و ترجمته، ج ٢ ص ٨٩٠
٨. «كتاب المسائل والأجوبة في التفسير والحديث» ص ٤٨. سوف نقوم بشرح هذه المسألة بعض الشيء في المستقبل.
٩. «صحيح البخاري، ج ١ ص ١٦٢، «فتح الباري» ج ٢ ص ٢١٩، «الجامع لأحكام القرآن» ج ١ ص ٣٩
١٠. «المسند» لأحمد بن حنبل، ج ٣ ص ٣١٨، «الطبقات الكبرى» ج ٢ ص ١، «موسوعة اطراف الحديث» ج ٤ ص ٦٠٧

١١. «جامع البيان» ج ١ ص ٣٦، «الجامع لاحكام القرآن» ج ١ ص ٣٩
١٢. ابواسامة، سهيل بن حنيف، من كبار اصحاب النبي (ص) و ممن رافق علياً (ع) في حرب صفين. انظر «الطبقات الكبرى» ج ٣ ص ٤٧١، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج ٢ ص ١٤٧٥، «الإصابة» ج ٤ ص ٢٧٣، موسوعة «علماء حول الرسول» ج ٢ ص ٩٦٧.
١٣. سورة الواقعة / ٢٨
١٤. «المستدرک للصحيحين» ج ٢ ص ٤٧٦
١٥. «المعيار والموازنة» ص ٣٠٤، «نهج البلاغة» الخطبة رقم ٢١٠ ترجمة الدكتور السيد جعفر الشهيدي، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ١١ ص ٤٨. سوف نورد كلام ابن أبي الحديد في شرح هذه العبارة لأنه جدير بالقراءة.
١٦. «فتح الباري» ج ١ ص ٤٢٣.
١٧. «مجمع الفوائد و منبع الزوائد» ج ٧ ص ١٦٥. «حياة الصحابة» ج ٣ ص ٤٦٣.
١٨. «التفسير و المفسرون» ج ١ ص ٥١ - ٥٢
١٩. «الاتقان» ج ٤ ص ١٩٧
٢٠. احمد بن خليل المهلب الخوئي، من العلماء المتكلمين الفقهاء. ولد في خوي و ترعرع فيها و في خراسان و تعلم فيها، و عيّن قاضياً في دمشق حيث توفي. ينسب اليه خطأً اكمال تفسير الفخر الرازي. و هذا ما سوف نبهته في المستقبل. «البداية و النهاية» ج ١٣ ص ١٥٥.
- «شذرات الذهب» ج ٥ ص ١٨٣. «معجم المفسرين» ج ١ ص ٣٥ الخ...
٢١. «جامع البيان» ج ١ ص ٢١. «الجامع لاحكام القرآن» ج ١ ص ٣١، وكذلك «ضحى الاسلام» ج ٢ ص ١٢٨.
٢٢. «جامع البيان» ج ١ ص ٢٩. «البحر المحيط» ج ١ ص ١٣. كلام ابن عطية في «الجامع لاحكام القرآن» ج ١ ص ٣١
٢٣. «التفسير و المفسرون» ج ١ ص ٥٢ - ٥٣
٢٤. «قرآن در اسلام» ص ٥٤



٢٥. «الإتقان» ج ٢ ص ٢٥٤ وما بعدها
٢٦. المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٠٠. «بحوث في اصول التفسير و مناهجه» ص ١٥. «تطور تفسير القرآن» ص ١٦.
٢٧. وردت هذه الرواية، بمضمون متقارب و بطرق و الفاظ مختلفة، بكثرة، و منها نصوص بينه عن منع تدوين الحديث. انظر «مسند» احمد بن حنبل، ج ٣ ص ١٣١، و «سنن» ابن ماجه، ج ١ ص ٣٧. «المعجم المفهرس لألفاظ احاديث بحار الانوار» المقدمة، بقلم الكاتب.
٢٨. «علوم القرآن» ص ٩٦ - ٩٨
٢٩. عن ذلك حديث الثقلين المتواتر و غيره
٣٠. «شواهد التنزيل» ج ١ ص ٤١. سوف نفصل هذا في فصل «تفسير الصحابة».
٣١. «الكافي» ج ١ ص ٦٢. «نهج البلاغة» الخطبة ٢١.
٣٢. من الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام في سنة فتح خيبر، و في فتح مكة كان حامل لواء خزاعة. توفي في البصرة سنة ٥٢ هـ «اسد الغابة» ج ٤ ص ٢٨١. «صفوة الصفوة» ج ١ ص ٦٨١. «زعماء حول الرسول» ج ٢ ص ١٣٨٨. «الطبقات الكبرى» ج ٤ ص ٢٨٧. «سير اعلام النبلاء» ج ٢ ص ٥٠٨.
٣٣. «المستدرک» ج ص ١٠٩. «الكفاية» للخطيب، ص ١٤٨. «جامع بيان العلم و فضله» ج ٢ ص ١٨٨.
٣٤. «الموافقات» ج ٤ ص ٢٦. «الجامع لأحكام القرآن» ج ١ ص ٣٩.
٣٥. تابعي من كبار العلماء، ولد في عهد النبي (ص) و مات في البصرة في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي. «حلية الاولياء» ج ٢ ص ١٩٨. «صفوة الصفوة» ج ٣ ص ٢٢٢.
٣٦. «الموافقات» ج ٤ ص ٢٦. «منزلة السنة من الكتاب» ص ١٢٠ نقلا عن «جامع بيان العلم و فضله» ص ٤٩٦.
٣٧. «الجامع لأحكام القرآن» ج ٩ ص ١٠٩. «مسالك الأفهام» ج ١ ص ١٤٨. كذلك يمكن الرجوع الى «تهذيب الاحكام» ج ٢ ص ١٢. «تفسير العياشي» ج ٢ ص ١٦١.

٣٨. «الميزان» ج ١١ ص ٥٨.
٣٩. المصدر نفسه، ج ١٣ ص ١٧٠. «مسالك الأفهام» ج ١ ص ١٤١. «الجامع لاحكام القرآن» ج ١٠ ص ٣٠٢. «نورالتقلين» ج ٣ ص ٢٠٠.
٤٠. «الميزان» ج ٢ ص ٢٤٦. «منزلة السنة من الكتاب» ص ٣٦١.
٤١. «مسالك الأفهام» ج ٢ ص ٢ وما بعدها. «منزلة السنة من الكتاب» ص ٣٦٥ وما بعدها
٤٢. «الأصول العامة للفقهاء المقارن» ص ٢٤٢. «منتهى الدراية في توضيح الكفاية» ج ٣ ص ٦٣٥ وما بعدها. «الإحكام في اصول الأحكام» ج ٢ ص ١٤٩. «منزلة السنة من الكتاب» ص ٤٠٣ وما بعدها.
٤٣. «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ٤٨. «احكام القرآن» لابن العربي، ج ١ ص ٢٥٣.
٤٤. «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ١٦٧ - ١٦٨ و ١٩٢. «كنز العرفان في فقه القرآن» ج ٢ ص ٣٣٨. «منزلة السنة من القرآن» ص ٤٠٧. «كنز العرفان» ج ٢ ص ٣٤١ في تفسير الآية ٢ من سورة النور
٤٥. «تفسير العياشي» ج ١ ص ٢٦٧. «التبيان» ج ٣ ص ٢٩٥. «مجمع البيان» ج ٣ ص ٩٢. «محاسن التأويل» ج ٥ ص ٣٧٤.
٤٦. «جامع البيان» ج ٧ ص ٢٥٦.
٤٧. «التبيان» ج ٤ ص ١٩٠. «زاد المسير» ج ٣ ص ٧٧. «الجامع لاحكام القرآن» ج ٧ ص ٣٠.
٤٨. «التبيان» ج ٣ ص ٥١٧. «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ٢٠٣. يختلف الفقهاء فيما يتعلق بحدود قطع اليد والمسروق. راجع المصادر المذكورة و «احكام القرآن» لابن العربي، ج ٢ ص ١٠٣ و ما بعدها. «المهذب البارع في شرح المختصر النافع» ج ٥ ص ٨٨.
٤٩. «الميزان» ج ٥ ص ٣٢٩.
٥٠. «جامع المقاصد» ج ١٠ ص ١٠٩.
٥١. «التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم» لعودة احمد ابو عودة. «الزنية في الكلمات الاسلامية العربية» لأبي حاتم الرازي.



٥٢. «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ١٩٢ - ١٩٣. «روائع البيان في تفسير آيات الاحكام من القرآن» ج ٢ ص ٢١.
٥٣. «تفسير شاهي» ج ٢ ص ٦٩٠ و ما بعدها. «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ٢٤٧.
٥٤. «لانسخ في القرآن، لماذا؟» لعبد المتعال الجيري.
٥٥. «البيان في تفسير القرآن» ص ٢٧٧ - ٣٨١. «التمهيد في علوم القرآن» ج ٢ ص ٢٧٣ - ٤٠٠. «النسخ في القرآن» ج ١ و ٢. «التشريع الجنائي في القرآن» ص ٣١٣.
٥٦. «تفسير القرآن الكريم» ص ٧٦.
٥٧. «وسائل الشيعة» ج ٢٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩. «تفسير نورالثقلين» ج ١ ص ٢٤. «كنزالدقائق» ج ١ ص ٥٧٣. «الدرالمنثور» ج ١ ص ٣٠٩.
٥٨. «التبيان» ج ٣ ص ١٤٢. «الميزان» ج ٤ ص ٢٣٤. «جامع البيان» ج ٣ ص ٢٩٢. «تفسير القرآن العظيم» ج ١ ص ٤٧٢. «التفسير المنير» ج ٤ ص ٢٨٩. و هناك كلام غير هذا في تفسير الآيّة.
٥٩. «تفسير العياشي» ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨. «مجمع البيان» ج ٣ ص ٢١. «نورالثقلين» ج ١ ص ٤٥٦. «تفسير القرآن الكريم» ج ١ ص ٤٧٣.
٦٠. انظر الهامش / قم ١، و «مسالك الأفهام» ج ٤ ص ١٨٩. «فقه القرآن» ج ٢ ص ٣٦٧. «احكام القرآن» ج ٢ ص ٤١.
٦١. «البيان في تفسير القرآن» ص ٣١٠. «الميزان» ج ٤ ص ٢٣٥. «تفسير نمونه» ج ٣ ص ٣٠٨.
٦٢. «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٣٥٧. «محاسن التأويل» ج ١٦ ص ٢٩١.
٦٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ج ١ ص ٨٩.
٦٤. «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٣٥٧. «نورالثقلين» ج ٥ ص ٤١٩.
٦٥. «السنن الكبرى» ج ٦ ص ١٠٠، و ج ٨ ص ١٨٢. «مجمع الفوائد» ج ٤ ص ١٧٢.
- «كنز العمال» ج ٩٢.

٦٦. «سنن الترمذي» ج ٣ ص ١٥٦٤. «سنن» أبي داود، ج ٢ ص ٣١٣.
٦٧. «القواعد الفقهية» ج ٤ ص ١٠٠ - ١٤٧. «بلغة الفقيه» ج ٣ ص ٣٤٥. إن مفهوم القاعدة و أبعادها و كيفية آثارها من الأبحاث المستفيضة التي يجب الرجوع فيها الى مظانها.
٦٨. «سنن الترمذي» ج ٣ ص ٥٦٦. «سنن» أبي داود، ج ٢ ص ٣١٦.
٦٩. «نورالتقلين» ج ١ ص ٤٩٥.
٧٠. اكتفينا بقول الشافعي. للاستزادة راجع «منزلة السنة من الكتاب» ص ١٢٥ - ٣٣٨، الباب الأول: موافقة السنة و توكيدها الكتاب.
٧١. «المستدرك» ج ٢ ص ٣٣٥. «الدرالمنثور» ج ٣ ص ٢٨١. «نورالتقلين» ج ٢ ص ٢٧١.
٧٢. «مجمع البيان» ج ٥ ص ٧٤ - ٧٥. «الجامع لأحكام القرآن» ج ٨ ص ٢٧٠.
٧٣. «الدرالمنثور» ج ٣ ص ١٩٢. «تفسير القرآن الكريم» ج ٢ ص ٣٣٤. «صحيح» مسلم، ج ٣ ص ١٥٣٢.
٧٤. «الدرالمنثور» ج ١ ص ١٤٨.
٧٥. المصدر نفسه، ج ٢ ص ٥٦. «نورالتقلين» ج ١ ص ٣٧٢. «جامع البيان» ج ٤ ص ١٦.
٧٦. «مسالك الأفهام» ج ٢ ص ١٠٥. «فقه القرآن» ج ١ ص ٢٤٦. «احكام القرآن» (كياهراسي) ج ١ ص ٢٩٤. «الجامع لأحكام القرآن» ج ٤ ص ١٢٧. في تفسير مصداق الإستطاعة ثمة اختلاف بين الفقهاء يمكن الرجوع إليها.
٧٧. «الدرالمنثور» ج ٢ ص ٥٧. «جامع البيان» ج ٤ ص ٢٠.
٧٨. «الكافي» ج ٤ ص ٢٦٦. «مرآة العقول» ج ١٧ ص ١٤٣. «التهذيب» ج ٥ ص ١٦.
- «مسائل علي بن جعفر» ص ٢٦١. «تفسير الصافي» ج ١ ص ٣٣٥.
٧٩. «البيان» ج ٦ ص ٣٥٤. «الميزان» ج ١٢ ص ١٩٣. «في ظلال القرآن» ج ٤ ص ٢١٥٥.
٨٠. «الإتقان» ج ٤ ص ٢٦٨.
٨١. «تفسير القرآن الكريم» ج ٢ ص ١٤٤. «مجمع البيان» ج ٤ ص ٣٦٣. «الدرالمنثور» ج ٣ ص ٤٤.

٨٢. هو من الصحابة الأجلاء الاوائل الذين شايعوا علياً (ع) واكدوا ولايته، و لم يتقبل خلافة بعد رسول الله (ص) . كان من معلمي القرآن، يعلمه لأصحاب الصفة. شارك النبي في جميع حروبه. عينه النبي مرة لجمع بيت المال. ظل عبادة على الصراط المستقيم و لم ينحرف عن طريق الحق. كان طويل القامة، ضخم الجسم. و سيم قسماات الوجه. «اختيار معرفة الرجال» ص ٣٦. «معجم رجال الحديث» ج ٩ ص ٢٢٢ و ج ٤ ص ١٧٠. «الطبقات الكبرى» ج ٣ ص ٥٤٦. «أسد الغابة» ج ١ ص ١٠٦. «سير أعلام النبلاء» ج ٢ ص ٥. «الاصابة» ج ٥ ص ٣٢٣. «عظماء حول الرسول» ج ٢ ص ١١٣٥. كان رئيس قبيلته، و عند دخوله على النبي (ص) أعزه أكرمه. توفي سنة ٥١ هـ انظر «مسند» احمد بن حنبل، ج ٤ ص ٣٥٧. «الطبقات الكبرى» ج ٦ ص ٢٢١. «المستدرک» ج ٣ ص ٤٦٤. «تاريخ بغداد».

٨٣. «المستدرک» ج ٢ ص ٣٤٠. «نور الثقلين» ج ٢ ص ٣٠٩. «تفسير القرآن العظيم» ج ٤ ص ٤٣٩.

٨٤. «الميزان» ج ١٥ ص ٢١٥.

٨٥. «المستدرک» ج ٢ ص ٤٠٢. «مجمع البيان» ج ٧ ص ٢٦٤. «نور الثقلين» ج ٤ ص ١٥.

٨٦. «مجمع البيان» ج ٦ ص ٤٤٢. «في ظلال القرآن» ج ٤ ص ٢٢٥١. سفر هي جهنم، أو أحد ابواب جهنم، أو موضع في جهنم. «مجمع البيان» ج ٩ ص ١٩٤.

٨٧. فاخته اوهند، المشهورة بأمر هاني، امرأة جلييلة القدر في صدر الاسلام، و هي اخت علي (ع)، من رواة الحديث عن رسول الله (ص). انظر رواياتها في «المعجم الكبير» ج ٢٤ ص ٤٠٧-٤٤٦. ولمعرفة سيرتها انظر «طبقات» ابن سعد ج ٦ ص ٤٧. «المستدرک» ج ٤ ص ٥٢. «الاستيعاب» ج ٤ ص ١٩٦٢. «أسد الغابة» ج ٧ ص ٢١٣. «الاصابة» ج ١٣ ص ١٣٠٠. «سير أعلام النبلاء» ج ٢ ص ٣١١.

٨٨. «المستدرک» ج ٢ ص ٤١٠. «تفسير القرآن الكريم» (ابن كثير) ج ٣ ص ٤٢٢. «الدر المنثور» ج ٥ ص ١٤٤. ذكر رسول الله (ص) قوم لوط بصفتهم احد مصاديق «المنكر». انظر «مجمع البيان» ج ٨ ص ٢٨٠. «نور الثقلين» ج ٥ ص ١٥٧.

٨٩. من صحابة رسول الله (ص). أسلم قبل اربعين يوماً من وفاة النبي (ص). «سير أعلام النبلاء» ج ٢ ص ٥٣٠. «الاستيعاب» ج ١ ص ٣٢٧. «أسد الغابة» ج ١ ص ٣٣٣.
٩٠. «المستدرک» ج ٢ ص ٣٩٦. «تفسير القرآن الكريم» ج ٣ ص ٢٩٢.
٩١. «تفسير» العياشي، ج ١ ص ٢٧٧.
٩٢. «المستدرک» ج ٢ ص ٤٥٨. «جامع البيان» للطبري، ج ٢٦ ص ٦٦. «الدرالمثور» ج ٦ ص ٦٧.
٩٣. «المستدرک» ج ٢ ص ٤٦٤.
٩٤. كتاب «العين» ج ٥ ص ٨٥. «المفردات» ص ٤٦.
٩٥. «تفسير» العياشي، ج ٢ ص ٢٨٩. «نور الثقلين» ج ٣ ص ١٥٨.
٩٦. «العين» ج ٣ ص ١٣٣. «مقاييس اللغة» ج ٢ ص ٦١. «تاج العروس» ج ١١ ص ١٨.
٩٧. «مقاييس اللغة» ج ٤ ص ١٥٥. «ترتيب القاموس المحيا» ج ٣ ص ٥٥٨.
٩٨. تترجم لفظة «محسوراً» في كثير من ترجمات القرآن الكريم الي الندم و الحسرة و الكآبة، و قد تترجم بالحيرة، و هذا أقوم. جاء في ترجمة «تفسير الطبري» المنسوب للطبري: «فتجلس... مجرداً» ج ٤ ص ٨٩٢. و جاء في تفسير «النسفي»: مصاب بالإحباط، ج ١ ص ٥٣٦. و السادة پاينده و آيتي ترجمها بما يعني: التحسّر. و السيد بهبودي ترجمها بمعنى: المتحير، و ترجمها السيد امامي بمعنى: الكآبة. انظر ايضاً: «تفسير القرآن الكريم» ج ٣ ص ١٤٠. «الميزان» ج ١٣ ص ٨٣.
٩٩. سعد بن مالك بن سنان الانصاري، من اصحاب رسول الله (ص) و كان يعلم القرآن و روى الكثير من الأحاديث عن رسول الله (ص)، و صاحبه في اثنتي عشرة من حروبه، و كان في أولها يبلغ الخامسة عشرة من عمره، و قد وصفه الرجاليون و السّيريون بالفضل و العلم و الذكاء. انظر «المستدرک» ج ٣ ص ٥٦٣. «أسد الغابة» ج ٢ ص ٢٦٥ و ج ٦ ص ١٤٢.
- «شذرات الذهب» ج ١ ص ٨١. «النجوم الزاهرة» ج ١ ص ١٩٢. «سير اعلام النبلاء» ج ٣ ص ١٦٨.

١٠٠. «المستدرک» ج ٢ ص ٣٩٥. «تفسير القرآن الكريم» ج ٣ ص ٢٦٨.
١٠١. «المستدرک» ج ٢ ص ٥٣٢. «سنن الترمذي» ج ٥ ص ٤٤٦. «تفسير القرآن العظيم» ج ٤ ص ٥٧٦.
١٠٢. «الدرالمنثور» ج ٤ ص ١٩١. «نورالثقلين» ج ٣ ص ١٧٩. «تفسير القرآن العظيم» ج ٣ ص ٥٢.
١٠٣. «تفسير القرآن العظيم» ج ٣ ص ٥٢.
١٠٤. «انوارالتنزيل» ج ٢ ص ٤٥٣. «جامع البيان» ج ١٥ ص ١١٥. «التفسير المنير» ج ٥ ص ١١١. «تفسير الحديث» ج ٣ ص ٢٤٨.
١٠٥. «روح المعاني» ج ١٠ ص ١٠٧. «الفتح القدير» ج ٣ ص ٢٣٩. «الجامع لاحكام القرآن» ج ١٠ ص ٢٨٦. «شرح ابن ابي الحديد» ج ٩ ص ٢١٨. هذا الموضوع ينقله ابن ابي الحديد عن المفسرين، ج ٢ ص ٨١ نقلاً عن عمر، ج ١٥ ص ١٧٥، فيقول: «لا يشك أحد في ان الله قصد من «الشجرة الملعونة» بني أمية». «تاريخ الطبري» ج ١٠ ص ٥٨. كتاب «النزاع و التخاصم» ص ٧٩.
١٠٦. «الجامع لاحكام القرآن» ج ١٠ ص ٢٨٣. ينقل القرطبي عن ابن عطية: يجب استثناء عثمان و معاوية و عمر بن عبدالعزيز من هذا التفسير.
١٠٧. «الميزان» ج ١٣ ص ١٣٦ و ما بعدها.
١٠٨. «تاريخ الطبري» ج ١٠ ص ٥٨. «الغدير» ج ٨ ص ٢٤٨.
١٠٩. «تفسير الحديث» ج ٣ ص ٢٤٨.
١١٠. سميت هذه الحجة بحجة البلاغ لأن آية البلاغ «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك...» نزلت اثناء عودة النبي (ص) من الحج. و بما انها كانت حجتة الأخيرة فقد سميت بحجة الوداع ايضاً، فتنوسي الاسم الاصلى «حجة البلاغ» على مدى الزمن و استعاضوا عنه. بحجة الوداع لكي ينسى الناس ماجرى في حجة البلاغ من ابلاغ الولاية. يقول ابن اسحاق (ت: ١٥١ هـ): «كانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ و كذلك حجة الوداع...» «سيرة» ابن هشام، ج ٤ ص ٦٠٦.

١١١. «النور المشتعل المقتبس من كتاب ما نزل من القرآن في علي (ع)» ص ٥٦. «شواهد التنزيل لقواعد التفضيل» ج ١ ص ٢٠١. ان أسناد و مصادر هذا الحدث اكثر من أن يتسع لها المجال هنا. عند دراسة تفاسير ابناء العامة و تقدما سوف نشير الى كثير من هذه المصادر. انظر «الغدير» ج ١ ص ٢٣١ و ما بعدها. «احقاق الحق» ج ٣ ص ٣٢٠ و ج ١٤ ص ٢٨٩، و ج ٢٠ ص ١٩٥.
١١٢. انظر الغدير و المعارضون، عواصف على ضفاف الغدير
١١٣. سوف نكشف عن التفاسير الغلط المنحرفة العجيبة لأمثال هؤلاء المفسرين عند دراسة تفاسيرهم و نقدها. «كشف الأسرار» للمبيدي، ج ٨ ص ٣٤. «التفسير الادبي و العرفاني لكشف الاسرار» ج ٢ ص ٢٥٢.
١١٤. «نفحات اللاهوت» ص ٨٥.
١١٥. «شواهد التنزيل» ج ٢ ص ١٨.
١١٦. «تأويل الآيات الطاهرة» ج ٢ ص ٤٥٦.
١١٧. «جامع البيان» ج ٢٢ ص ١٥. «الدر المنثور» ج ٥ ص ١٩٩. «تفسير القرآن العظيم» ج ٣ ص ٤٨٣. «الصواعق المحرقة» ص ١٤٣. «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٢١ و غيرها. ورد ذكر الزمان بصور مختلفة. انظر «اهل البيت في آية التطهير» ص ٤٠ - ٤٥.
١١٨. «جامع البيان» ج ٢٢ ص ٧. «الدر المنثور» ج ٥ ص ١٩٨. «سير اعلام النبلاء» ج ٨ ص ٢٠٨. سوف نتحدث عن عكرمة بالتفضيل في فصل التفسير في فترة التابعين.
١١٩. فيما يتعلق بتفسير آية التطهير، فضلا عن النظرات العميقة للمفسرين و العلماء الشيعة، فقد كتبت ضمن التفاسير كتب مستقلة قيمة سبق لي ذكرهم في مواضع أخرى. انظر «المعجم المفهرس لألفاظ احاديث بحار الانوار، ج ١، المقدمة.